

منهج الشيخ ابن عثيمين في تفسير غريب القرآن

إعداد

د. حسن بن علي بن منيع الشهراني

الأستاذ المساعد بقسم القرآن وعلومه - بكلية الشريعة وأصول الدين

جامعة الملك خالد بأبها

بحث محكم مقدم لـ :

ذروة جهوه الشيخ محمد العثيمين العالمية

222 Blank

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَةٌ

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢).

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ ءِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١).

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠ - ٧١).

أما بعد:

فإن من أجل العلوم المتعلقة بالقرآن الكريم والمعينة على فهمه وتدبره؛ علم التفسير الذي يعد أشرف علوم القرآن الكريم التي يتوصل بها إلى ذلك؛ ولذا فقد عني بهذا العلم كبار العلماء في كل زمان ومكان، ومن هؤلاء العلماء الذين عنوا بتفسير القرآن الكريم فضيلة الشيخ العلامة الإمام أبو عبد الله محمد بن صالح ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، والذي يعد بحق أبرز أعلام هذا العصر، وعلماء هذا الزمان، ممن طبقت شهرته الآفاق في العلوم الشرعية كافة، ومنها التفسير.

ولما أعلنت كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة القصيم عن تنظيم

ندوة: (جهود الشيخ محمد العثيمين العلمية) فقد عقدت العزم - مستعيناً بالله - على المشاركة في هذه الندوة ببحث بعنوان: (منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن) إسهاماً مني في خدمة البحث العلمي، ومشاركة في إبراز منهج من مناهج التفسير الأصيلة لعالم جليل، ومفسر نحري، وكذا وفاء بحق علمائنا علينا، ومنهم هذا العالم الجليل، والإمام الكبير، رحمه الله تعالى.

وأسأل الله، تعالى، أن أكون قد وفقت في اختيار الموضوع، وسددت في تناوله، وعرض مباحثه بما يحقق الغاية من مثل هذه الأبحاث التأصيلية، كما أسأله، سبحانه، أن يجزي القائمين على هذه الندوة خير الجزاء، وأن يجعل ما قدموه ويقدمونه في ميزان حسناتهم.

السبت ٠٨ / ٠٢ / ١٤٣١ هـ

أهمية الموضوع، وأسباب اختياره :

يرجع سبب اختياري لهذا الموضوع إلى عدة أمور أجمالها فيما يلي:

١- المكانة العلمية لهذا النوع من الأبحاث، والتي تبرز صفحة مشرقة لعلمائنا الأجلاء.

٢- المنزلة العلمية الرفيعة، والمكانة العالية التي حظي بها فضيلة الشيخ العلامة محمد بن عثيمين، رحمه الله تعالى، فهو أحد أبرز علماء هذا العصر، وأئمة هذا الزمان.

٣- بيان ما كان يتميز به، رحمه الله تعالى، من منهج فريد في تدريسه وتأليفه في شتى فنون العلم ومن أهمها التفسير.

٤- حاجة المكتبات الإسلامية إلى هذه الأبحاث المستقلة التي تبرز أصول منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، عامة، وفي التفسير خاصة.

٥- لعل هذا البحث وأمثاله يعد رمز وفاء، وتقدير وإجلال لهذا الإمام الجليل على ما قدمه لخدمة الإسلام والمسلمين من جهود جبارة في مجال العلم والتعليم، والنصح والتوجيه.

فهذه الأسباب وغيرها جعلتني أعقد العزم على كتابة هذا البحث، سائلاً الله تعالى، التوفيق والسداد والقبول، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

خطة البحث

يتكون هذا البحث من مقدمة، وتمهيد، والدراسة المنهجية في خمسة عشر مبحثاً، وخاتمة، وفهارس، وذلك كما يلي:

* المقدمة: وقد اشتملت على بيان أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، وطريقة تناوله.

* التمهيد: وفيه مبحثان:

- المبحث الأول: ترجمة موجزة للشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى.

- المبحث الثاني: لمحة موجزة عن «غريب القرآن» وعناية الشيخ به.

* الدراسة المنهجية: منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن، وفيه خمسة عشر مبحثاً؛ كل مبحث منها في جانب من جوانب منهجه، رحمه الله تعالى، وذلك على النحو التالي:

- المبحث الأول: بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم.

- المبحث الثاني: بيان المعنى بالاعتماد على السنة.

- المبحث الثالث: بيان المعنى والاستشهاد له بالشعر.

- المبحث الرابع: بيان معنى الكلمة في السياق القرآني.

- المبحث الخامس: بيان معنى الكلمة في اللغة والشرع.

- المبحث السادس: بيان معنى الكلمة وتعليقه.

- المبحث السابع: بيان وجوه الكلمة ونظائرها.

- المبحث الثامن: تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها.
 - المبحث التاسع: بيان أصل الكلمة واشتقاقها.
 - المبحث العاشر: بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة.
 - المبحث الحادي عشر: إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها.
 - المبحث الثاني عشر: بيان معنى الكلمة بمراعاة تصرفاتها اللغوية.
 - المبحث الثالث عشر: بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء.
 - المبحث الرابع عشر: تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف.
 - المبحث الخامس عشر: الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد.
- * الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث وتوصياته.

منهج البحث

* يتسم منهج البحث بالخطوات الآتية:

١- الاستقراء والتتبع لأبرز ملامح منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير الغريب من خلال الأجزاء المطبوعة من تفسيره.

٢- الإفادة مما كتب عن الشيخ، رحمه الله تعالى، من كتب ومؤلفات ورسائل علمية في بيان منهجه في التفسير، وغيره من العلوم المختلفة.

٣- ذكر أهم ملامح منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، مدعماً ذلك ببعض النماذج والأمثلة.

٤- أعتمد نقل نص كلام الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير اللفظة أو الآية التي توجد فيها تلك اللفظة، وأثبت منهج الشيخ المقصود منها، وأكتفي في ذلك بنماذج موجزة مع التوثيق والعزو إلى مصادرها.

٥- أورد في التمثيل لأصل منهج الشيخ الذي أتحدث عنه عدداً من النماذج والشواهد المحددة نظراً لكثرتها، ورغبة في الإيجاز.

٦- عزو الآيات القرآنية الكريمة إلى سورها، وذلك بذكر رقم الآية واسم السورة في الحاشية.

٧- تخريج الأحاديث والآثار من مصادرها الأصلية؛ بذكر الكتاب والباب والجزء والصفحة ورقم الحديث أو الأثر، والاكتفاء بتخريج الحديث من الصحيحين إذا وجد فيهما أو في أحدهما، وإذا لم يكن في أي منهما؛ فإنني أخرج من أمهات كتب السنة مع ذكر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه من حيث القبول

والرد، والقوة والضعف.

٨- الترجمة الموجزة للأعلام المذكورين في صلب الموضوع، أي الدراسة المنهجية، عند أول ورود لذكرهم.

٩- ختمت البحث بخاتمة موجزة تشمل أهم نتائج البحث وتوصياته.

هذه أبرز معالم المنهج الذي اتبعته في هذا البحث؛ سائلاً الله تعالى، التوفيق والإخلاص، والتسديد والقبول.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

* التمهيد : وفيه مبحثان:

المبحث الأول

ترجمة موجزة للشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى

وتشمل العناصر التالية:

- أ - اسمه ونسبه. ب - مولده. ج - نشأته وطلبه للعلم.
د - شيوخه. هـ - تلاميذه. و - آثاره العلمية. ز - وفاته.
أ - اسمه ونسبه:

هو الإمام، العلامة، المفسر، الفقيه، الفرضي، الأصولي، اللغوي أبو عبدالله، محمد بن صالح بن سليمان بن عبدالرحمن بن عثمان بن عبدالله بن عبدالرحمن بن أحمد بن مقبل؛ من آل مقبل؛ من آل ريس الوهبي التميمي، وجده الثالث عثمان أطلق عليه: عثيمين؛ فاشتهر به، وهو من فخذ - وهبه - من تميم، نزع أجداده من الوشم إلى عنيزة.^(١)

ب - مولده:

ولد الشيخ، رحمه الله تعالى، في مدينة عنيزة، إحدى مدن القصيم، عام ١٣٤٧ هـ، في السابع والعشرين من شهر رمضان المبارك^(٢).

ج - نشأته وطلبه للعلم:

نشأ الشيخ في أسرة كريمة، وفي عائلة معروفة بالدين والاستقامة، ومنهم أهل علم وفضل؛ فقد قرأ القرآن الكريم على جده من جهة أمه عبدالرحمن بن سليمان آل

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٠-٣١، و١٤ عاماً مع ساحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ٩.

(٢) جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣١.

دامغ، وحفظه كاملاً عن ظهر قلب، ثم اتجه إلى طلب العلم؛ فتعلم الخط والحساب وبعض فنون الآداب.

وكان، رحمه الله تعالى، قد آتاه الله ذكاء وحرصاً على تحصيل العلم، وهمة عالية في التزود منه؛ مما حمله على ملازمة العلماء والمشايخ والتلمذ عليهم، وفي مقدمتهم الشيخ العلامة المفسر الفقيه عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله تعالى، والشيخ، رحمه الله تعالى، لم يرحل لطلب العلم إلا إلى الرياض حين فتحت المعاهد العلمية في عام ١٣٧٢هـ؛ فدرس بالمعهد العلمي في الرياض ثم في كلية الشريعة بالرياض منتسباً، ثم رجع إلى عنيزة لإكمال دراسته على شيخه ابن سعدي، رحمه الله تعالى.^(١)

د - شيوخه:

للشيخ، رحمه الله تعالى، عدد من الأساتذة والمشايخ اللذين تتلمذ عليهم، أخذ عنهم العلم، ومن أبرزهم:

١- الشيخ العلامة عبدالرحمن بن ناصر السعدي، رحمه الله تعالى، وهو الشيخ الذي لازمه قرابة ست عشرة سنة^(٢)، وقد تأثر به تأثراً بالغاً، وقد خلفه في الإمامة والخطابة والتدريس في الجامع الكبير في عنيزة^(٣).

٢- سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز، رحمه الله تعالى، وهو شيخه الثاني، قرأ عليه في المعهد العلمي، وفي دروس خاصة بالرياض، ومما قرأ عليه من صحيح البخاري، وبعض كتب الفقه^(٤).

(١) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ص ١١، وابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٧-٢٨، من ترجمته بقلم تلميذه رئيس تحرير مجلة الحكمة وليد بن أحمد الحسين.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين.. ص ٣٣.

(٣) انظر: ١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ١١.

(٤) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٠، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة ابن عثيمين ص ١١.

- ٣- الشيخ محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي، رحمه الله تعالى، المفسر اللغوي صاحب التفسير المشهور، والمعروف بـ «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن»، درس عليه في المعهد العلمي في الرياض.^(١)
- ٤- الشيخ علي بن حمد الصالحي، رحمه الله تعالى، وكان من أوائل من طلب العلم على يديه، وكان من تلاميذ الشيخ عبدالرحمن السعدي، وكان يدرس المبتدئين.^(٢)
- ٥- الشيخ محمد بن عبدالعزيز المطوع، رحمه الله تعالى، وهو كذلك من أوائل من طلب العلم على يديه، وقد قرأ عليه الشيخ «مختصر العقيدة الواسطية»، و«منهاج السالكين» في الفقه، وكلاهما لابن سعدي، و«الأجرومية»، و«الألفية» في النحو والصرف.^(٣)
- ٦- الشيخ عبدالرحمن بن علي بن عودان، رحمه الله تعالى، قرأ عليه الشيخ بعض كتب الفقه، كما درس عليه علم الفرائض.^(٤)
- ٧- الشيخ عبدالرحمن بن سليمان آل دامغ، رحمه الله تعالى، قرأ عليه الشيخ القرآن حتى أتّم حفظه، وهو جد الشيخ من جهة أمه.^(٥)
- ٨- الشيخ عبدالعزيز بن ناصر بن رشيد، رحمه الله تعالى.
- ٩- الشيخ عبدالرحمن الأفريقي، رحمه الله تعالى، وهما من مشايخه في المعهد العلمي في الرياض.^(٦)

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٠، و ١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠.

(٢) انظر: ١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠.

(٣) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، و ١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٤) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، و ١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٠، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٥) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣١، وجهود الشيخ ابن عثيمين ص ٣٤.

(٦) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٤.

هـ - تلاميذه:

كانت المدة التي قضها الشيخ في التدريس تزيد على نصف قرن^(١)، وقد تتلمذ عليه خلق كثير لا يمكن حصرهم بدقة؛ فطلابه في المعهد، وطلابه في الكلية، وفي المسجد، وفي الحرم، وفي كل مكان، وطلابه من مستويات مختلفة، فمنهم أساتذة جامعات وطلابها، وموظفون، وتلاميذ مدارس، ومتفرغون للعلم، كما أنهم من جنسيات مختلفة من داخل المملكة وخارجها إلا أن أكثرهم من منطقة القصيم؛ ولذا فحصر طلبة الشيخ على وجه الدقة متعذر.

وقد قام رئيس تحرير مجلة الحكمة وليد بن أحمد الحسين، أحد طلاب الشيخ، بذكر عدد من طلبة الشيخ المتميزين الذين أطالوا المكث عنده لسنوات، فأوصلهم إلى خمسة وسبعين طالباً^(٢).

و- آثاره العلمية:

تنوعت الآثار العلمية للشيخ، رحمه الله تعالى، ما بين مطبوع ومخطوط ومسموع، وما بين مؤلفات كتبها بيده وألفها ابتداءً، وما بين مؤلفات هي في الأصل عبارة عن دروس ألقاها في المساجد على طلابه فقاموا بتفريغها وتحريرها، وراجع الشيخ بعضها قبل وفاته، وبعضها طبع قبل مراجعة الشيخ له؛ ولذا وقعت فيها أخطاء ينبغي التنبه لها، وهذا أغلب مؤلفات الشيخ، رحمه الله تعالى، المنتشرة اليوم.

وقد تولت مؤسسة الشيخ محمد بن صالح العثيمين الخيرية القيام بالمراجعة والتدقيق بعد وفاته، وكذا تولي مهمة طباعة الكثير من مؤلفاته ~^(٣).

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٤-٣٥.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٥-٣٧، و١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٩.

(٣) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٤٠-٤١.

وقد بلغ مجموع ما تركه ~ من آثار مسموعة من أشرطة وغيرها ما يزيد على ٥٠٠٠ ساعة^(١)، إضافة إلى برامج الإذاعية، وفتاواه.

وأما المطبوعة فتزيد على ١٢٠ كتاباً، وما تحت الطبع نحو ٢٢ كتاباً^(٢). وأول كتاب طبع للشيخ، رحمه الله تعالى، هو كتاب «فتح رب البرية بتلخيص الحموية» وذلك عام ١٣٨٠هـ^(٣).

وقد تنوعت مؤلفاته، رحمه الله تعالى، في شتى الفنون فمنها في العقيدة، ومنها في الفقه وأصوله، والحديث وعلومه، والتفسير وعلوم القرآن، واللغة... إلخ. وسأذكر بعض أهم مؤلفاته في التفسير وعلوم القرآن بما أن البحث يتعلق بهذا الفن، وأما باقي مؤلفاته فترجع المؤلفات في ذلك:

- ١- تفسير آية الكرسي.
- ٢- أصول في التفسير.
- ٣- شرح مقدمة التفسير لشيخ الإسلام ابن تيمية.
- ٤- شرح القواعد الحسان في تفسير القرآن لابن سعدي.
- ٥- أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة.

(١) ١٤ عاماً مع ساحة العلامة ابن عثيمين ص ١٩، وانظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٣٩ وذكر أنها قرابة ٦٠٠٠ ساعة صوتية.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين ص ٤٢-٤٧، و ص ٤٨-٤٩.

(٣) انظر مقدمة الشيخ نفسه للكتاب حيث ذكر أنه طبعه لأول مرة في سنة ١٣٨٠هـ (رسائل في العقيدة للشيخ ومنها: فتح رب البرية ص ٤٨) وقد رأيت بعض من ترجم للشيخ ذكر في موضع أنه لم يتصدى للتأليف إلا عام ١٣٨٢هـ حيث ألف كتابه (فتح رب البرية..). وفي موضع قال: أول كتاب طبع للشيخ هو (فتح رب البرية) وذلك عام ١٣٨٠هـ وانظر فيما ذكر - مثلاً - ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٩ و ص ٣٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين.. ص ٣٨ و ص ٤٠.

- ٦- تفسير القرآن الكريم: سورة الفاتحة، وسورة البقرة.
 - ٧- تفسير القرآن الكريم: سورة آل عمران.
 - ٨- تفسير القرآن الكريم: سورة النساء.
 - ٩- تفسير القرآن الكريم: سورة الكهف.
 - ١٠- تفسير القرآن الكريم: سورة يس.
 - ١١- تفسير القرآن الكريم: سورة الصافات.
 - ١٢- تفسير القرآن الكريم: سورة ص.
 - ١٣- تفسير القرآن الكريم: سورة الحجرات إلى الحديد.
 - ١٤- تفسير القرآن الكريم: جزء عم.
- وغيرها كثير من مؤلفاته، رحمه الله تعالى، ولكن نقتصر على ما ذكر طلباً للاختصار.^(١)

ز- وفاته :

توفي، رحمه الله تعالى، إثر إصابته بمرض سرطان القولون، وكانت وفاته عصر يوم الأربعاء ١٥/١٠/١٤٢١هـ عن عمر يناهز الرابعة والسبعين، قضاه في خدمة الإسلام والمسلمين حتى آخر يوم من حياته حيث استمر في إلقاء دروسه رغم مرضه حتى ودع طلابه في اليوم التاسع والعشرين من رمضان عام ١٤٢١هـ، وقد ختم درسه بقوله: «لعلي لا ألقاكم بعد عامي هذا»^(٢).

(١) انظر في ذكر مؤلفاته: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٣٢-٣٥، و ١٤ عاماً مع ساحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ١٩-٢٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٤٢-٤٩.
(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٣٢.

وكانت وفاته في جدة، وصُلي عليه في المسجد الحرام يوم الخميس عصرًا، وحضر جنازته جمع غفير ودفن في مقبرة العدل بمكة المكرمة بجوار شيخه عبدالعزيز بن باز، رحمهما الله تعالى. وبوفاته فقدت الأمة علمًا بارزاً من أبرز علمائها وصلحائها ودعاتها، رحمه الله تعالى رحمة واسعة، وأسكنه الفردوس الأعلى من الجنة^(١).

(١) انظر في ترجمته: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٢٧-٣٥، و١٤ عاماً مع سماحة العلامة الشيخ محمد بن صالح بن عثيمين ص ٩-٢٢، وجهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن ص ٢٣-٥٤، وقد ذكر فيه أهم الكتب التي ألفت في ترجمته، وكذا بعض الرسائل والمجلات التي تعرضت لترجمته - رحمه الله تعالى -.

المبحث الثاني

لمحة موجزة عن «غريب القرآن» وعناية الشيخ به

وتشمل العناصر التالية :

أ - المراد بغريب القرآن :

اللفظ القرآني ينقسم إلى مفردات ومعان^(١)؛ وبالتالي فإن التفسير من حيث موضوعه وهو «الآيات القرآنية» ينقسم إلى قسمين:

الأول: يتعلق بلفظ القرآن الكريم، وهو التفسير اللفظي.

الثاني: يتعلق بمعاني القرآن الكريم، وهو التفسير الذي يكشف عن معاني الآيات^(٢).

والقسم الأول يعتبر الخطوة الأولى لمعرفة تفسير القسم الثاني؛ ولذا قال الزركشي «الذي يجب على المفسر البداءة به العلوم اللفظية، وأول ما يجب البداءة به منها تحقيق الألفاظ المفردة؛ فتحصيل معاني المفردات من ألفاظ القرآن من أوائل المعادن، لمن يريد أن يدرك معانيه..»^(٣).

ومما يعتمد عليه القسم الأول هو علم الألفاظ الغريبة وهو ما يسمى «غريب القرآن».

وقد حُد اصطلاحاً: بأنه العلم المختص بتفسير الألفاظ الغامضة في القرآن الكريم، وتوضيح معانيها بما جاء في لغة العرب وكلامهم.^(٤)

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩.

(٢) انظر: أصول التفسير وقواعده ص ٤٧.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ١٧٣، وانظر المفردات للراغب ص ٦.

(٤) انظر: مقدمة تحقيق العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب ص ١٤، وبحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٠.

وقد ذكر الأخ الدكتور أحمد البريدي في رسالته القيمة «جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير وعلوم القرآن» ذكر أن غريب القرآن قد يطلق على علم مفردات ألفاظ القرآن، وأنه لا يُقصد به ما كان غامض المعنى دون غيره، وإنما المراد به تفسير مفردات القرآن عموماً^(١)، وفي الحقيقة إنني أرى أن هذا القول أقرب إلى الصحة؛ فإن الكتب المؤلفة في تفسير غريب القرآن تتفاوت في إيراد الألفاظ الغريبة كثرة وقلة، مما يعني أن الغريب ليس ألفاظاً متفقاً عليها بين العلماء، بل إن بعضهم قد يعتبر من الغريب ما لا يعتبره البعض الآخر، كما أن بعض العلماء الذين ألفوا في تفسير غريب القرآن قد فسروا معظم ألفاظ القرآن الكريم، مما يعني أن مصطلح الغريب مصطلح واسع وأنه يُقصد به مفردات القرآن عموماً^(٢). وهذا ما أميل إليه، وأسير عليه في بحثي هذا.

ب - أهميته :

قال الزركشي - رحمه الله تعالى - : «ومعرفة هذا الفن للمفسر ضروري، وإلا فلا يحل له الإقدام على كتاب الله تعالى»^(٣).

فهو أول ما يجب الاهتمام به، والبداءة به، والإلمام به لمن أراد تفسير كتاب الله تعالى.

ج - أهم المؤلفات فيه :

هذا العلم أفردته بالتصنيف خلائق لا يحصون، كما قال السيوطي في «الإتقان»^(٤).

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩.

(٢) انظر مثلاً: تفسير المشكل من غريب القرآن لمكي بن أبي طالب، وكتاب: تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب لأبي حيان، وكتاب: تذكرة الأريب في تفسير الغريب لابن الجوزي.

(٣) البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٢.

(٤) الإتقان في علوم القرآن ١/ ٣.

وطريقة التصنيف فيه من حيث الترتيب تنقسم إلى قسمين:

* فقسم جاء ترتيب الألفاظ فيه على ترتيب السور؛ فيذكر اسم السورة، ثم يذكر الغريب من كلماتها؛ ومن المؤلفات في ذلك: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة، و«تفسير غريب القرآن» لابن قتيبة، و«معاني القرآن» للزجاج.

* وقسم رتبها على حروف الهجاء، مثل: كتاب «غريب القرآن» للسجستاني، وكتاب «مفردات غريب القرآن» للأصفهاني، وكتاب «تحفة الأريب» لأبي حيان^(١). كما اعتنى العلماء بتضمين علم الغريب ضمن كتب المعاني وكتب التفسير؛ لأنه لا بد لمعرفة المعنى من معرفة اللفظ إذ إن المركب لا يعلم إلا بعد العلم بمفرداته^(٢).

وإليك أسماء أهم الكتب المؤلفة فيه:

- ١- مسائل نافع بن الأزرق: وقد قام بتحقيقها ودراستها د. عائشة عبدالرحمن، وبلغت المسائل ١٨٩ مسألة.
- ٢- مجاز القرآن: لأبي عبيدة معمر بن المثنى ت سنة ٢١٠هـ، وقام بتحقيقه د. محمد فؤاد سزكين في مجلدين.
- ٣- معاني القرآن: للأخفش الأوسط ت سنة ٢١٥ في مجلدين.
- ٤- تفسير غريب القرآن: لابن قتيبة ت سنة ٢٧٦هـ.
- ٥- معاني القرآن وإعرابه: للزجاج ت سنة ٣١١هـ في خمسة مجلدات.
- ٦- المفردات في غريب القرآن: للراغب الأصفهاني ت سنة ٥٠٢هـ.
- ٧- تذكرة الأريب في تفسير الغريب: لابن الجوزي ت سنة ٥٩٧هـ.
- ٨- تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب: لأبي حيان الأندلسي ت سنة ٧٤٥هـ.

(١) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٥.

(٢) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير.. ص ٢٥٩، وانظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩١.

وغيرها من المؤلفات الكثيرة^(١).

د - عناية الشيخ ابن عثيمين به :

أدرك الشيخ، رحمه الله تعالى، أهمية هذا العلم بالنسبة لتفسير كتاب الله تعالى؛ ولذا اعتنى ببيان مفردات ألفاظ القرآن الكريم، وكان له في بيانها طريقتان:

- الطريقة الأولى: بيان معاني جميع كلمات الآية القرآنية وقد سلكها في تفسيره «الإمام ببعض آيات الأحكام» مقرر المعاهد العلمية.

- الطريقة الثانية: بيان معاني الكلمات التي تحتاج إلى بيان وهذا عمله في سائر تفسيره^(٢).

وهو ما اعتمدت عليه في بحثي هذا؛ لإبراز منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، في تفسير غريب القرآن.

(١) انظر: بحوث في أصول التفسير ومناهجه ص ١٢٥-١٢٦.

(٢) راجع: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ٢٥٩-٢٦٠.

الدراسة المنهجية

منهج الشيخ محمد العثيمين في تفسير غريب القرآن

وفيه خمسة عشر مبحثاً:

- المبحث الأول: بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم.
- المبحث الثاني: بيان المعنى بالاعتماد على السنة.
- المبحث الثالث: بيان المعنى والاستشهاد له بالشعر.
- المبحث الرابع: بيان معنى الكلمة في السياق القرآني.
- المبحث الخامس: بيان معنى الكلمة في اللغة والشعر.
- المبحث السادس: بيان معنى الكلمة وتعليقه.
- المبحث السابع: بيان وجوه الكلمة ونظائرها.
- المبحث الثامن: تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها.
- المبحث التاسع: بيان أصل الكلمة واشتقاقها.
- المبحث العاشر: بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة.
- المبحث الحادي عشر: إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها.
- المبحث الثاني عشر: بيان معنى الكلمة بمراعاة تصرفاتها اللغوية.
- المبحث الثالث عشر: بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء.
- المبحث الرابع عشر: تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف.
- المبحث الخامس عشر: الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد.

المبحث الأول

بيان المعنى بالاعتماد على القرآن الكريم

وهذا من تفسير القرآن بالقرآن وهو أحسن طرق التفسير وأصحها، وهو أيضاً أجل أنواع التفسير وأشرفها؛ لأنه تفسير لكلام الله تعالى، بكلام الله، سبحانه، ولا أحد أعلم بمراد الله من الله تعالى، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ﴾ (آل عمران: ٧).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١)، رحمه الله تعالى: «إن أصح الطريق في ذلك - أي التفسير - أن يفسر القرآن بالقرآن؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان، فإنه قد بسط في موضع آخر»^(٢).

وقد أدرك الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، أهمية هذا النوع من التفسير؛ ولذا اعتمد عليه، واعتنى به في تفسيره للقرآن ومن ذلك تفسير ألفاظ القرآن وبيان معانيها؛ ولذا قال، رحمه الله تعالى: «يرجع في تفسير القرآن إلى ما يلي:

أولاً: كلام الله تعالى، فيفسر القرآن بالقرآن؛ لأن الله تعالى، هو الذي أنزله، وهو أعلم بما أراده به». ثم ذكر لذلك أمثلة^(٣).

وإن من أبرز ملامح منهج الشيخ ابن عثيمين، رحمه الله تعالى، في تفسير غريب القرآن اعتماده على القرآن في تفسيره وإيضاح معانيه، ويتجلى ذلك فيما يلي:

(١) الإمام وشيخ الإسلام تقي الدين ابن تيمية، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحارثي الدمشقي الحنبلي، أبو العباس، ولد سنة ٦٦١ وتوفي سنة ٧٢٨هـ (انظر: الدرر الكامنة ١/ ١٥٤ البدر الطالع ١/ ٦٣، الأعلام ١/ ١٤٤).

(٢) مقدمة التفسير بشرح ابن عثيمين ص ١٢٧.

(٣) انظر: أصول في التفسير ص ٣٨-٣٩.

* أولاً: تفسير كلمة بكلمة أشهر منها:

يفسر كلمة غريبة في القرآن بكلمة وردت في القرآن أيضاً ولكنها أشهر منها
تداولاً، وأظهر معنى^(١).
ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ (البقرة: ١٧٠)،
قال رحمه الله تعالى: ﴿أَلْفَيْنَا﴾ أي: وجدنا. كما قال الله تعالى، في آية أخرى: ﴿قَالُوا
بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آيَاتِنَا﴾ (لقمان: ٢١).
والقرآن يفسر بعضه بعضاً^(٢). ففسر كلمة: أَلْفَيْنَا؛ بكلمة: وجدنا^(٣).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ
أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ (ق: ٣٨).

قال رحمه الله تعالى: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ أي: ما مسنا من تعب وإعياء.
وهذا كتوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْ يَخْلُقْهُنَّ﴾
(الأحقاف: ٣٣)... إلخ^(٣).

فسر كلمة: لغوب؛ بكلمة: يعي، أي: التعب والإعياء^(٤).

* ثانياً: يبين معنى الكلمة ثم يستدل عليه بالقرآن: ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ﴾ (الطور: ١٧)، قال
رحمه الله تعالى: وجنات: جمع جنة، وهي الدار التي أعدها الله تعالى للمتقين في

(١) انظر: جهود الشيخ ابن عثيمين وآراؤه في التفسير... ص ١٨٢، فصول في أصول التفسير ص ٢٥.

(٢) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٨، والمفردات ص ٤٥٢.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١١٠.

(٤) انظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٣.

الأخرة، بدليل قول الله، تبارك وتعالى: ﴿وَسَارِعُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٣).^(١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ﴾ (الرحمن: ٧)، قال رحمه الله تعالى: أي: وضع العدل، والدليل على أن المراد بالميزان - هنا - العدل، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكُتُبَ وَالْمِيزَانَ...﴾ (الحديد: ٢٥)، يعني: العدل^(٢). وليس المراد بالميزان هنا: الميزان ذا الكفتين المعروف، ولكن المراد بالميزان العدل^(٣).

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿... وَعَزَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ﴾ (الحديد: ١٤)، قال ~ : الغرور: هو الشيطان، ودليل هذا قول - الله تعالى - عنه حين وسوس إلى أبونا قال الله عنه: ﴿فَدَلَّيْنَهُمَا يَبْغُورٍ...﴾ (الأعراف: ٢٢)، فالغرور هو الشيطان^(٤).

وهكذا يمضي الشيخ، رحمه الله تعالى، في بيان معاني ألفاظ القرآن معتمداً على القرآن، مقدماً له على غيره، والأمثلة في هذا كثيرة غير ما ذكر.

وإن مما يلحظ على منهج الشيخ، رحمه الله تعالى، أنه ربما يفسر اللفظة في آية، ثم يذكر آية أخرى وردت فيها اللفظة نفسها ثم يفسرها أيضاً. ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّهُمْ مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ﴾ (الصفات: ١٥١)، قال، رحمه الله تعالى، قوله: ﴿مِّنْ إِفْكِهِمْ﴾ أي: كذبهم؛ لأن الإفك هو الكذب، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ...﴾ (النور: ١١)، أي: بالكذب^(٥).

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٨٣.

(٢) انظر تفسير ابن كثير ٣١٤ / ١٣.

(٣) تفسير سورة الرحمن ص ٣٠٣-٣٠٤.

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٨٩، وانظر تفسير ابن كثير ١٣ / ٤٢٠.

(٥) تفسير سورة الصفات ص ٣٢١، وانظر: عمدة الحفاظ ١ / ١٠٧.

٢- عند تفسير قوله، قال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (العاديات: ٨)، قال ~ : الخير هو المال، كما قال الله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾ (البقرة: ١٨٠)، أي: إن ترك مالا كثيراً. فالخير هو المال، والإنسان حبه للمال أمر ظاهر، قال الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ الْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ (الفجر: ٢٠)، ولا تكاد تجد أحداً يسلم من الحب الشديد للمال.^(١)

(١) تفسير جزء عم ص ٢٩٧-٢٩٨، وانظر: المفردات ص ١٦٠.

المبحث الثاني

بيان المعنى بالاعتماد على السنة

وهذا من تفسير القرآن بالسنة؛ والسنة تعتبر بياناً وإيضاحاً للقرآن الكريم إضافة إلى استقلالها ببيان بعض الأحكام والتشريع كما قال الله تعالى: ﴿يَا بَيِّنَاتٍ وَالزُّبُرُ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل: ٤٤).

وفي الحديث قال رسول الله ﷺ: «ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»^(١) ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - : «فإن أعيانك ذلك - يعني تفسير القرآن بالقرآن - فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له»^(٢) وهذه الأهمية والمكانة للسنة النبوية في تفسير القرآن نجد أن الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - قد اعتنى بها في تفسيره للقرآن، واعتمد عليها ولا سيما في تفسير مفردات القرآن الكريم، وقد بين هذه المنزلة للسنة في التفسير في بيانه للمرجع في التفسير في كتابه «أصول في التفسير» حيث قال - بعدما بين المرجع الأول وهو القرآن - قال: «ثانياً: كلام رسول الله ﷺ، فيفسر القرآن بالسنة؛ لأن رسول الله ﷺ مبلغ عن الله - تعالى - فهو أعلم الناس بمراد الله - تعالى - بكلامه» ثم ذكر أمثلة لذلك.^(٣)

وقال - أيضاً - : «والسنة تبين القرآن كما قال الله تعالى: ﴿... وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ...﴾ (النحل: ٤٤)، والتبيين يشمل:

(١) أخرجه أبو داود في السنة - ك: السنة. باب: في لزوم السنة ٤/ ٢٠٠ رقم ٤٦٠٤ من حديث المقدم بين

معد يكر، وصححه الألباني في صحيح سنن أبي داود ٣/ ٨٧٠ / ٣٨٤٨

(٢) مقدمة التفسير بشرح ابن عثيمين ص ١٢٧.

(٣) انظر: أصول في التفسير ص ٣٩.

تبيين اللفظ وتبيين المعنى»^(١).

وبتتبع منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسيره نجد أنه - قد التزم هذا المنهج، ومن ذلك تفسير غريب القرآن بالسنة النبوية، ويظهر هذا فيما يلي:

أولاً: يبين المعنى ثم يستدل عليه من السنة:

ومن أمثله:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ﴾ (الحديد: ١٨)، قال - رحمه الله تعالى - : أي ثواب كريم والكريم: هو الحسن الطيب، وذلك أن الجنة فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وأصل الكرم: الحسن. ودليل ذلك قول النبي ﷺ لمعاذ بن جبل^(٢) < لما بعثه إلى اليمن: «إياك وكرائم أموالهم»^(٣) يعني: إذا أخذت الزكاة اجتنب كرائم الأموال يعني: أحاسنه..^(٤).

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِّثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعِجِلُونَ﴾ (الذاريات: ٥٩)، قال - رحمه الله تعالى - : الذنوب في الأصل هو الدلو، أو ما يستقى

(١) تفسير سورة البقرة ٢/٤٠٦

(٢) معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري، الخزرجي، أبو عبدالرحمن، الإمام المقدم في علم الحلال والحرام، شهد بدرًا وأحدًا والمشاهد كلها مع رسول الله ﷺ كان عمره عند إسلامه ١٨ سنة، وتوفي في طاعون عمواس سنة ١٨هـ (انظر: أسد الغابة ٥/٢٠٤، الإصابة ٩/٢١٩، الطبقات الكبرى ٣/٤٣٧).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب الزكاة - باب: أخذ الصدقة من الأغنياء.. رقم ١٤٩٦ (الفتح ٣/٤١٨) ومسلم في صحيحه - كتاب: الإيمان، باب: الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام ١/٥٠ رقم ٢٩ (١٩).

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٩٤، وانظر: المفردات ص ٤٢٨-٤٢٩، وعمدة الحفاظ ٣/٤٥٥-٤٥٦.

به. وشاهد ذلك قول النبي ﷺ: «أريقوا على بوله ذنوباً من ماء»^(١) والمعنى:

هؤلاء الظالمون لهم نصيب مثل نصيب من سبقهم.^(٢)

ثانياً: يبين معنى الكلمة ثم يزيده توضيحاً من السنة. وهذا تكرر كثيراً ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا صَرِيحَ لَهُمْ﴾ (يس: ٤٣)، قال ~: الصريخ:

بمعنى المغيث، وسمي المغيث صريحاً؛ لأن عادة الإنسان إذا هاجمه أحد صرخ يستغيث، ومنه حديث غزوة بدر أن أبا سفيان^(٣) بعث صارخاً إلى أهل مكة يستغيثهم^(٤)...^(٥)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ﴾

(ق: ١٩)، قال - رحمه الله تعالى - : السكره هنا: هي تغطية العقل كالإغماء ونحوه.

وقد قال النبي ﷺ: «إن للموت سكرات»^(٦) وقوله: ﴿سَكْرَةُ الْمَوْتِ﴾ مفرد

مضاف، فيشمل الواحدة أو أكثر وقوله: ﴿بِالْحَقِّ﴾ أي أن الموت حق كما جاء في

الحديث: «الموت حق، والجنة حق، والنار حق»^(٧).^(٨)

(١) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الوضوء - باب: صب الماء على البول في المسجد حديث رقم ٢٢٠

(الفتح ١/ ٣٨٦)، ومسلم في صحيحه - كتاب: الطهارة - باب: وجوب غسل البول وغيره من النجاسات

١/ ٢٣٦ رقم ٩٩ (٢٨٤).

(٢) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ١٧٠، وانظر عمدة الحفاظ ٢/ ٤٩.

(٣) أبو سفيان: صخر بن حرب بن أمية بن عبدشمس بن عبد مناف، أبو سفيان القرشي الأموي، مشهور

بكنيته، كان رأس المشركين يوم أحد ويوم الخندق، ثم أسلم ليلة الفتح، ثم حسن إسلامه. توفي سنة

٣١هـ (انظر: أسد الغابة ٣/ ١٠، الإصابة ٥/ ١٢٧، الاستيعاب ٥/ ١١٧)

(٤) هذه رواية بالمعنى، والرواية موجودة في السير، وانظر: زاد المعاد ٣/ ١٧٢، وسيرة ابن هشام ٢/ ١٨٢-١٨٤.

(٥) تفسير سورة يس، ص ١٥٧، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٣٨٢.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه - كتاب: الرقائق، باب: سكرات الموت رقم ٦٥١٠ (الفتح ١١/ ٣٦٩).

(٧) أخرجه البخاري في صحيحه: كتاب: التهجد - باب: التهجد بالليل رقم ١١٢٠ (الفتح ٣/ ٥)، ومسلم في

صحيحه - كتاب: صلاة المسافرين - باب الدعاء في صلاة الليل ١/ ٥٣٢ رقم ١٩٩ (٧٦٩). بنحوه.

(٨) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٩٥، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٢٣٨.

٣- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ هَذَا مَا تُوْعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴾ (ق: ٣٢)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿ حَفِيظٌ ﴾ أي: حفيظ لما أمره الله به، وهذا كقول النبي ﷺ لعبد الله بن عباس^(١) } : «احفظ الله يحفظك»^(٢) ...^(٣)

ثالثاً: ربما فسر بالسنة مباشرة: ومن أمثله:

عند قوله تعالى: ﴿ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم ﴾ (الحجرات: ١٢)، قال: الغيبة فسرها النبي ﷺ بقوله: «ذكرك أخاك بما يكره»^(٤) وهذا من تفسير الرسول - عليه الصلاة والسلام - وهو أعلم الناس بمراد الله - تعالى - في كلامه.^(٥)

وقد بين - رحمه الله تعالى - ذلك بالأمثلة التي أوردتها في كتابه (أصول في التفسير) في بيان المرجع الثاني من مراجع التفسير وهو السنة؛ فليراجع^(٦).

* ومما يلاحظ على منهج الشيخ - رحمه الله - في تفسير القرآن الكريم بالسنة عموماً وتفسير الغريب خصوصاً ما يلي:

١- أنه في الأعم الأغلب يذكر الشاهد من الحديث بنصه، كما في الأمثلة السابقة في هذا المبحث، وأحياناً يورده بمعناه، كما ظهر هذا عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ﴾ (الحديد: ٢٨)، قال - : أي نصيبين من رحمة الله؛ ولهذا

(١) عبد الله بن عباس بن عبد المطلب، ابن عم الرسول ﷺ، ومن أصحابه، الخبر، البحر، ترجمان القرآن، وفقه العصر، وإمام أهل التفسير توفي سنة ٦٨ هـ (انظر: أسد الغابة ٣/ ٢٩٥، الإصابة ٦/ ١٣٠، سير أعلام النبلاء ٣/ ٣٣١).

(٢) أخرجه الترمذي في سننه - كتاب: صفة القيامة - باب: ٥٩، حديث رقم ٢٥١٦ ج ٤ ص ٥٧٥ وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٠٥-١٠٦، وانظر: فتح القدير ٥/ ١١٠.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه - كتاب: البر والصلة - باب: تحريم الغيبة ٤/ ٢٠٠١ حديث رقم ٧٠ (٢٥٨٩).

(٥) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٥١-٥٢، وانظر: فتح القدير ٥/ ٩٣.

(٦) انظر: أصول في التفسير ص ٣٩-٤٠.

السبع بالنسبة إلى الكرسي كحلقة ألقيت في فلاة من الأرض، وإن فضل العرش على الكرسي كفضل الفلاة على هذه الحلقة...»^(١).^(٢)

٤- أنه في الأعم الأغلب لا يذكر من روى الحديث من الصحابة أو من خرجته من أصحاب الكتب، والأمثلة على هذا كثيرة جداً، ومنها الأمثلة السابقة التي أوردناها في هذا المبحث.

(١) أخرجه ابن جرير ٥٣٩/٤ بنحوه، وأخرجه أبو الشيخ في كتاب العظمة ٥٦٩/٢ / رقم ٢٠٦، وأورده السيوطي في الدر المنثور ٣/ ١٩٠ وعزاه إلى ابن جرير، وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه والبيهقي في «الأسماء والصفات»، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة ١/ ١٧٣/ ١٠٩ من طريق أبي ذر.

(٢) تفسير جزء عم ص ١٤٠.

ألا لا يجهلن أحد علينا فنجهل فوق جهل الجاهلينا^(١)
 ٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ (الذاريات: ٥٨)،
 قال - رحمه الله تعالى -: أي صاحب القوة التي لا قوة تضادها. كما قال الشاعر
 الجاهلي^(٢):

أين المفرو والإله الطالب والأشرم المغلوب ليس الغالب
 فقوة الله - عز وجل - لا يضاهيها قوة..^(٣)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿أَزْفَتُ الْأَزْفَةَ﴾ (النجم: ٥٧)، قال - رحمه الله -: ﴿أَزْفَتُ
 الْأَزْفَةَ﴾ أي: قربت القيامة، ومنه قول الشاعر^(٤):

أزف الترحل غير أن ركابنا لما تزل برحالنا وكأن قد
 فالأزفة هي القيامة، لأن الساعة قريب... إلخ^(٥)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ (الرحمن: ٢٤)،
 قال - رحمه الله تعالى -: ﴿كَالْأَعْلَامِ﴾ تشبيهه، والأعلام: جمع علم وهو الجبل.
 كما قال الشاعر^(٦):

(١) تفسير سورة النساء ١/١٣٧، وانظر عمدة الحفاظ ١/٤٠٧-٤٠٨.

(٢) هو نفيل بن حبيب الخثعمي شاعر جاهلي، كان دليل أبرهة إلى الحرم، وانظر البيت في سيرة ابن هشام
 ١/٤٧، وانظر ترجمة نفيل في معجم الشعراء ٦/٥٥، وانظر البيت أيضاً في كتاب الحيوان للجاحظ
 ٧/١٩٨.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٦٩.

(٤) هو: النابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب، وقد أوردته بهذا اللفظ الجاحظ في البيان والتبيين ٢/٢٠٧،
 والقرطبي في الجامع ١٧/١٢٢، وانظر ديوانه ص ١٤٣، وفيه: أفد الترحل، بدلاً من: أزف الترحل...
 (٥) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ٢٥٥-٢٥٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/٩٧، وتفسير القرطبي ١٧/
 ١٢٢.

(٦) هي الخنساء تماضر بنت عمرو، وانظر ديوان الخنساء ص ٦٩.

وإن صخرًا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار
 كأنه جبل، ومن شاهد السفن في البحار رأى أن هذا التشبيه منطبق تماماً عليها،
 فهي كالجبال تسير في البحر بأمر الله - عز وجل - (١) والأمثلة كثيرة.
 ومما يلحظ على منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في الاستشهاد بالشعر أمران:
 الأول: أنه لا يذكر اسم القائل في الغالب، كما مر في الأمثلة السابقة، وربما يذكره
 أحياناً، وانظر ما قاله في تفسير سورة النساء ١ / ٣٣٢، وتفسير سورة الصافات ص
 ٩٤.

ثانياً: أنه ربما يكرر الاستشهاد بالبيت نفسه في عدة مواضع، ومن ذلك عند
 تفسير قوله - تعالى -: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ (٢) قال - رحمه الله تعالى - في
 قوله - تعالى - ﴿بَدِيعُ﴾: فعيل بمعنى مَفْعَلِ أي: مُبْدِع، ولها نظير في اللغة العربية،
 مثل قول الشاعر (٣):

أمن (٤) ريحانة الداعي السميع يؤرقني وأصحابي هجوع

فالسميع بمعنى المسمع. (٥) تكرر هذا في مواضع: هذا الموضع، وعند تفسير
 سورة آل عمران الآية (٦) (٦)، وتفسير سورة يس الآية (١٨) (٧).

(١) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ٣١٠، وانظر: عمدة الحفاظ ٣ / ١٣٦، وتفسير القرطبي ١٧ / ١٦٤.

(٢) سورة البقرة: الآية ١١٧.

(٣) هو عمرو بن معد يكرب، وانظر ديوانه ص ١٢٨.

(٤) هكذا في الديوان وفي تفسير آل عمران، بينما في هذا الوطن وفي تفسير سورة يس «أم الريحانة»، وهذا خطأ
 مطبعي والصحيح ما أثبت؛ لأنه الموافق لما في الديوان، ولما في تفسير سورة آل عمران ١ / ٢٥، ولما في
 عمدة الحفاظ ٢ / ٢٥٤، ومعاني القرآن للزجاج ١ / ٨٣.

(٥) تفسير سورة البقرة ٢ / ١٦.

(٦) تفسير سورة آل عمران ١ / ٢٥.

(٧) تفسير سورة يس ص ٦٦.

المبحث الرابع

بيان معنى الكلمة في السياق القرآني

والمقصود بهذا هو بيان الكلمة في الآية بما لا يخرجها عن سابقها ولا يحقها كما قال مسلم بن يسار^(١) - رحمه الله تعالى - : «إذا حدثت عن الله تعالى فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده» أ.هـ^(٢).

وقد بين ابن القيم^(٣) - رحمه الله تعالى - : أن السياق من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره، وغالط في مناظرته.^(٤)

فبيان معنى الكلمة في السياق القرآني المقصود به: بيان مراد المتكلم بها في الآية؛ ولذا قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله تعالى - : «ما دل عليه اللفظ باعتبار اللغة فهو معنى، وما كان مراداً للمتكلم فهو المراد».^(٥)

والشيخ - رحمه الله تعالى - سار على هذا المنهج في تفسير غريب القرآن؛ فبين معنى الكلمة في اللغة ثم يبين المراد بها في الآية، والذي يلحظ فيه النظم والموضوع. وإليك الأمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (البقرة:

(١) مسلم بن يسار، الفقيه، القدوة، الزاهد، أبو عبد الله البصري، من فقهاء البصرة توفي ١٠٠ هـ (انظر: سير أعلام النبلاء ٤/ ٥١٠، البداية والنهاية ٩/ ١٨٦، تهذيب التهذيب ١٠/ ١٢٧).

(٢) أورده ابن كثير في مقدمة تفسيره ١٧/ ١.

(٣) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد الزرعي، الدمشقي، شمس الدين، ابن قيم الجوزية، العلامة الكبير، والمجتهد المطلق، والمصنف المشهور، ولد سنة ٦٩١، وتوفي سنة ٧٥١ هـ. (انظر: الدرر الكامنة ٤/ ٢١، البدر الطالع ٢/ ١٤٣، الأعلام ٦/ ٥٦).

(٤) بدائع الفوائد ٢/ ٣٠١.

(٥) تفسير سورة الصافات ص ١٠.

(٢٥)، قال - رحمه الله تعالى - : الجنات : جمع جنة، وجمعت لاختلاف أنواعها وأسماؤها وأحوالها، والأصل في معنى جنة أنها البساتين كثيرة الأشجار؛ لأنها تجن من فيها لكثرة أشجارها وأغصانها، والمراد بالجنة - التي ذكرها الله هنا - : دار النعيم التي أعدها الله - تعالى - للمتقين... (١)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَلَا تَلْبَسُوا الْحَقَّ بِالْبَطْلِ وَتَكْنُوهُوا الْحَقَّ وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة: ٤٢)، قال - رحمه الله تعالى - : فالخطاب هنا لبني إسرائيل لأن السياق واحد. ومعنى قوله ﴿تَلْبَسُوا﴾ أي: تخلطوا الحق حتى يلتبس ويشبهه على الناس.

والشيء الحق في اللغة: أي الثابت الذي لا يتزعزع، والباطل عكسه أي: الشيء الذاهب سدى الذي لا يثبت ولا يبقى. والمراد به هنا - الحق - : ما جاءت به الرسل من وحي الله - عز وجل - كما قال - تعالى - : ﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا﴾ (الأنعام: ١١٥)، والباطل ما خالف ذلك.. (٢)

٣- عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿وَمَا يَذْكُرُ إِلَّا أَوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (آل عمران: ٧)، قال - رحمه الله تعالى - : يذكر: أي لا يتعظ ويتنفع بالقرآن إلا أولوا الأبواب. أي: إلا أصحاب العقول؛ لأن الأبواب: جمع لب، واللب هو العقل.

والمراد بالعقل - هنا - : عقل الإدراك الذي ضده الجنون، وعقل التصرف الذي ضده السفه، فالذي يتذكر بالقرآن هو الإنسان الذي أعطاه الله عقلاً يدرك به الأشياء، وأعطاه الله رشداً يحسن به التصرف... (٣)

٤- عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿مِنْ نُّطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ﴾ (عبس: ١٩)، قال

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، والبقرة ص ١٢٩.

(٢) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة ص ١٩٦-١٩٧، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٢٢٩، ٥٠٣.

(٣) تفسير سورة آل عمران ١/ ٤١-٤٠، وانظر: المفردات ص ٤٤٦، وعمدة الحفاظ ٤/ ٧.

- رحمه الله تعالى - قوله: ﴿ مِنْ نُطْفَةٍ ﴾: والنطفة هي في الأصل: الماء القليل. والمراد به هنا: ماء الرجل الدافق الذي يخرج من بين الصلب والترائب يلقيه في رحم المرأة فتحمل...^(١)

٥- عند تفسير قوله تعالى: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ (المطففين: ٧)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿ كَلَّا ﴾ إذا وردت في القرآن لها معان حسب السياق؛ قد تكون حرف ردع وزجر، وقد تكون بمعنى حقاً، وقد يكون لها معان أخرى يعينها السياق؛ لأن الكلمات في اللغة العربية ليس لها معنى ذاتي لا تتجاوزه، بل كثير من الكلمات العربية لها معان تختلف بحسب سياق الكلام؛ في هذه الآية يقول الله - عز وجل -: ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ فتحتمل أن تكون بمعنى حقاً إن كتاب الفجار لفي سجين، أو تكون بمعنى الردع عن التكذيب بيوم الدين...^(٢)

(١) تفسير جزء عم ص ٦٥، وانظر: المفردات ص ٤٩٦، وعمدة الحفاظ ٤/ ٢١٩.

(٢) تفسير جزء عم ص ٩٧-٩٨.

المبحث الخامس

بيان معنى الكلمة في اللغة والشرع

إن مما سلكه الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير بعض ألفاظ القرآن الكريم بيان المعنى اللغوي والمعنى الشرعي للكلمة، وذلك أن بعض الكلمات نقلها الشرع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي، فلا بد من بيان معناها اللغوي ثم بيان المعنى الشرعي، وهذا من أبرز ملامح منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير غريب القرآن، وقد نص - رحمه الله - على ذلك في بعض المواضع من تفسيره. وإليك بعض الأمثلة:

(١) عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَعَاقَى الزَّكَاةَ﴾ (البقرة: ١٧٧)، مما قال - رحمه الله تعالى - واعلم أن الصلاة من الكلمات التي نقلها الشارع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي؛ فمعناها في اللغة: الدعاء كما قال - تعالى -: ﴿وَصَلِّ عَلَيْهِمْ﴾ (التوبة: ١٠٣)، أي: ادع لهم بالصلاة، فقل: صلى الله عليكم؛ ولكنها في الشرع: عبادة ذات أقوال وأفعال معلومة، مفتتحة بالتكبير، ومختتمة بالتسليم^(١).

قوله تعالى: ﴿وَعَاقَى الزَّكَاةَ﴾ أي أعطى الزكاة مستحقيها، والزكاة أيضاً من الكلمات التي نقلها الشرع عن معناها اللغوي إلى معنى شرعي.

فالزكاة في اللغة: من زكا يزكو: أي نما وزاد، وبمعنى: الصلاح. ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا﴾ (الشمس: ٩)، أي: أصلحها وقومها.

لكن في الشرع: الزكاة: هي التعبد ببذل مال واجب في مال مخصوص لطائفة مخصوصة...^(٢)

(١) تفسير سورة البقرة ٢/٢٧٨ وانظر: عمدة الحفاظ ٢/٤٠٥.

(٢) تفسير سورة البقرة ٢/٢٧٨، وانظر عمدة الحفاظ ٢/١٦١.

(٢) عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ...﴾ (البقرة: ٢١٨)، قال - رحمه الله تعالى - قوله تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا...﴾ الإيذان في اللغة: التصديق قال - قال تعالى - عن إخوة يوسف قائلين لأبيهم: ﴿وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ﴾ (يوسف: ١٧). أما في الشرع: فهو التصديق المستلزم للقبول والإذعان^(١).

قوله - تعالى -: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا...﴾ والهجر في اللغة: الترك ومنه (هجرت فلاناً) إذا لم تكلمه. وفي الشرع له معنيان: عام وخاص؛ فأما العام: فهو هجر ما حرم الله - عز وجل - كما قال النبي ﷺ «المهاجر من هجر ما نهي الله عنه»^(٢). وأما الخاص: فهو أن يهجر الإنسان بلده ووطنه لله ورسوله.. إلى أن قال: والمراد بالهجرة في الآية ما يشمل المعنيين: العام والخاص^(٣).

(٣) عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغْلٍ فَكَاهُونَ﴾ (يس: ٥٥)، مما قال - رحمه الله تعالى - : الجنة في اللغة العربية: اسم للبلستان الكثير الأشجار..

ومعناها شرعاً هي: الدار التي أعدها الله - سبحانه وتعالى - للمتقين؛ فيها ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر^(٤). وهناك أمثلة كثيرة غير ما ذكر.

(١) تفسير سورة البقرة ٣/٦٢، وانظر: عمدة الحفاظ ١/١٣٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الإيذان: باب: المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده، حديث رقم ١٠ (الفتح ١/٦٩).

(٣) تفسير سورة البقرة ٣/٦٣، وانظر عمدة الحفاظ ٤/٢٧٩-٢٨٠.

(٤) تفسير سورة يس ص ١٩٦-١٩٧، وانظر: عمدة الحفاظ ١/٤٠١.

المبحث السادس

بيان معنى الكلمة وتعليقه

إن مما يظهر بوضوح في منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير ألفاظ القرآن الكريم الحرص على بيان العلة أو التعليل، ولعله تأثر في هذا المنهج بمنهج شيخه العلامة عبدالرحمن السعدي^(١) - رحمه الله تعالى - في تدرسه بصفة عامة حيث كان له منهجية فريدة في التدريس تعتمد على الدليل والتعليل^(٢) ويتجلى منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - هنا في صورتين:

الصورة الأولى: بيان المعنى ثم تعليقه: ومن أمثلته:

- ١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنْتَهُوا لَرَجِمْنَاكُمْ وَلِمَسْنَاكُمْ مِمَّا عَذَابَ آيِسٍ﴾ (يس: ١٨)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿تَطَيَّرْنَا﴾ أي تشاءمنا، وأصل التطير مأخوذ من الطير؛ لأن الناس يتشاءمون بالطيور أو يتفاءلون بها..^(٣)
 - ٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿لِلطَّغِينِ مَثَابًا﴾ (النبا: ٢٢).
- قال - رحمه الله تعالى -: والطاغون جمع طاغ، وهو الذي تجاوز الحد؛ لأن الطغيان مجاوزة الحد..^(٤)

- ٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ﴾ (الانشقاق: ١٧).

(١) عبدالرحمن بن ناصر بن عبدالله السعدي، التميمي، العلامة، المفسر، الفقيه، صاحب التصانيف النافعة في شتى الفنون، وهو الشيخ الأول للشيخ ابن عثيمين - رحمهما الله تعالى - ولد سنة ١٣٠٧ هـ وتوفي ١٣٧٦ هـ. (انظر: الأعلام ٣/ ٣٤٠، ترجمته في مقدمة كتابه تيسير الكريم الرحمن ١/ ٥).

(٢) انظر: ١٤ عاماً مع ساحة العلامة محمد بن عثيمين ص ١٦.

(٣) تفسير سورة يس ص ٦٤، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٤٩٩.

(٤) تفسير جزء عم ص ٢٧، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٤٧٠.

قال - رحمه الله تعالى -: ﴿ وَمَا وَسَقَ ﴾: أي ما جمع؛ لأن الليل يجمع الوحوش والهوام وما أشبه ذلك؛ تجتمع وتخرج وتبرز من جحورها وبيوتها، وكذلك ربما يشير إلى اجتماع الناس بعضهم إلى بعض...^(١)

الصورة الثانية: بيان وجه التسمية، أو تعليل الاسم بالنص على ذلك.

وهذا تكرر كثيراً ومن أمثله:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾ (البقرة: ٨٣)، قال - رحمه الله تعالى -: والميثاق هو العهد؛ وسمي ميثاقاً؛ لأنه توثقة بين المتعاهدين.^(٢)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ فَنَبَذْنَاهُ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴾ (الصفات: ١٤٥)، قال - رحمه الله تعالى -: بالعراء: وجه الأرض، والمراد به: وجه الأرض الذي ليس فيه ما يظل من شجر ولا بناء، وسمي عراء لعروه عما يكسوه من الأشجار والبناء.^(٣)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَإِذْ أَنْتُمْ أَجْنَةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ ﴾ (النجم: ٣٢)، قال - رحمه الله تعالى -: أجنة: جمع جنين، وهو الحمل، وسمي الحمل جنيناً؛ لأنه مستتر.^(٤)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴾ (الطارق: ١١)، قال - رحمه الله تعالى -: الرجوع هو المطر؛ يسمى رجعاً لأنه يرجع ويتكرر، ومعلوم أن المطر به حياة الأرض..^(٥)

(١) تفسير جزء عم ص ١١٦، وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٥٨-٣٥٩، والمفردات ص ٥٢٣، وتذكرة الأريب ٢/ ٢٨٠.

(٢) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة - البقرة ص ٣٢١. وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٣٢٥-٣٢٦.

(٣) تفسير سورة الصفات ص ٣٠٠. وانظر: عمدة الحفاظ ٣/ ٨٠، تذكرة الأريب ٢/ ١١٥.

(٤) تفسير الحجرات إلى الحديد ص ٢٣٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٤٠٢.

(٥) تفسير جزء عم ص ١٥٥، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٧٩.

المبحث السابع

بيان وجوه الكلمة ونظائرها

يقول ابن الجوزي^(١) - رحمه الله تعالى -: واعلم أن معنى الوجوه والنظائر أن تكون الكلمة واحدة، ذكرت في مواضع من القرآن على لفظ واحد، وحركة واحدة، وأريد بكل مكان معنى غير الآخر؛ فلفظ كل كلمة ذكرت في موضع نظير للفظ الكلمة المذكورة في الموضع الآخر، وتفسير كل كلمة بمعنى غير معنى الأخرى هو الوجوه.

فإذن النظائر: اسم للألفاظ، والوجوه: اسم للمعاني.^(٢) وقد جعل بعضهم ذلك من أنواع معجزات القرآن؛ حيث كانت الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً أو أكثر أو أقل، ولا يوجد ذلك في كلام البشر.^(٣) ومن خلال النظر في تفسير الشيخ - رحمه الله تعالى - لبعض الألفاظ تبرز عنايته بهذا النوع من التفسير المسمى بعلم الوجوه والنظائر، ومن أمثلة ذلك:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ (النساء: ٢٤)، مما قال - رحمه الله تعالى -: والإحصان يطلق على عدة معان: فيطلق على الحرائر، ويطلق على العفيفات، ويطلق على المتزوجات. وكل هذا جاء في القرآن: قال الله تعالى في الأول: ﴿وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلاً أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ

(١) الإمام، الحافظ، المفسر، جمال الدين، أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد، ينتهي نسبه إلى أبي بكر الصديق، فقيه، واعظ، صاحب تصانيف تزيد على ٣٤٠ مصنفاً، ولد سنة ٥٠٩هـ - توفي سنة ٥٩٧هـ. (انظر: سير

أعلام النبلاء ٣٦٥/٢١، وفيات الأعيان ٣/١٤٠)

(٢) نزاهة العين النواظر في علم الوجوه والنظائر ص ٨٣، وانظر: بحوث في أصول التفسير ص ١٢٧.

(٣) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/١٠٢.

الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ﴿ (النساء: ٢٥)، فالمراد بالمحصنات هنا: الحرائر.
ومن الثاني: قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْغَافِلَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لُعُنُوا
فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (النور: ٢٣)، والمراد بالمحصنات هنا: العفيفات
عن الزنا.

ومن الثالث: أي المتزوجات هذه الآية: ﴿وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُكُمْ﴾^(١).

٢- وعند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ
عَلَى هَتُّوْلَاءٍ شَهِيدًا﴾ (النساء: ٤١)، قال - رحمه الله -: أمة جاءت في القرآن الكريم
لعدة معان:

المعنى الأول: الطائفة كهذه الآية، وكقوله - تعالى -: ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ
يَسْقُونَ﴾ (القصص: ٢٣).

المعنى الثاني: الإمام^(٢)، كقوله - تعالى -: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ (النحل:
١٢٠).

المعنى الثالث: الزمن؛ كقوله - تعالى -: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ﴾
(يوسف: ٤٥)، أي: بعد زمن ومقداره بضع سنين...

المعنى الرابع: الدين؛ كقوله تعالى: ﴿وَلِإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ
فَأَتَّقُون﴾ (المؤمنون: ٥٢).^(٣)

(١) تفسير سورة النساء ١/ ١٩٧.

(٢) قال - هنا: (الإيمان) في المطبوع، بينما ذكر د/ أحمد البريدي صاحب كتاب (جهود الشيخ ابن عثيمين)
أن المعنى: «الإمام» وذكر من ضمن مراجعه أن الكتاب بخط يد تلميذ الشيخ ابن عثيمين خالد حامد؛
فلعل الخطأ في المطبوع، ومما يؤكد ذلك أن كلمة «أمة» وردت في هذا المعنى بمعنى (الإمام) كما في كتاب
الوجوه والنظائر ١/ ١٢٠؛ ولذا أثبتتها هنا.

(٣) تفسير سورة النساء ١/ ٣٣٥، وانظر: الوجوه والنظائر ١/ ١٢٠.

المبحث الثامن

تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها

من أبرز ملامح منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في بيان غريب القرآن؛ تفسير الكلمة بما يضادها أو يقابلها، وهذا منهج فيه دقة وضبط، وتقريب للمعنى، وتمييز له، وكما قيل: وبضدها تتميز الأشياء. ويتضح هذا المنهج في جهتين:

الجهة الأولى:

بيان معنى الكلمة بالنظر إلى ما يقابلها في نفس الآية. وقد نص على هذا - رحمه الله تعالى - حيث قال: وهذه قاعدة مفيدة في التفسير أنه ربما يخفى عليك بعض الكلمات فتتظر إلى ما يقابلها. (١) وإليك بعض الأمثلة:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلًا كَرِيمًا﴾ (النساء: ٣١)، مما قال: وقوله: ﴿كَبَائِرَ﴾ جمع كبيرة.

وقوله - عز وجل -: ﴿سَيِّئَاتِكُمْ﴾ جمع سيئة، والمراد بها هنا: الصغيرة، والدليل على أن المراد بها الصغيرة أنها جاءت في مقابلة الكبائر في قوله: ﴿إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا نُهَوْنَ عَنْهُ نُكْفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ﴾، وإلا فالأصل أن السيئة عامة للكبيرة والصغيرة، ومن بلاغة القرآن أن يعرف معنى الكلمة بذكر ما يقابلها... إلخ. (٢)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا خُدُوءًا حِذْرَكُمْ فَانفَرُوا ثَبَاتٍ أَوْ انفَرُوا جَمِيعًا﴾ (النساء: ٧١)، مما قال - رحمه الله تعالى - : وقوله: ﴿ثَبَاتٍ﴾ أي

(١) انظر: تفسير سورة النساء: ٢/ ٣٨٩.

(٢) تفسير سورة النساء: ١/ ٢٦١-٢٦٢.

متفرقين.

﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ أي: مجتمعين. والذي دلنا على أن ﴿ثُبَاتٍ﴾ بمعنى: متفرقين قوله: ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ حيث قبلت بهذا، ومقابل الشيء يكون ضده في المعنى...^(١)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِنْ يُبَدُّوا خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعَفُّوا عَنْ سُوءٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا﴾ (النساء: ١٤٩)، مما قال - رحمه الله تعالى -: ﴿يُبَدُّوا﴾ أي: تظهروا، وعرفنا أن الإبداء بمعنى الإظهار من ذكر مقابله وهو قوله: ﴿أَوْ تُخَفُّوهُ﴾ وهذه قاعدة مفيدة في التفسير؛ أنه ربما يخفى عليك معنى بعض الكلمات فتنتظر إلى ما يقابلها، فقوله - تعالى -: ﴿فَأَنْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ لو أن أحداً سأل ما معنى: ﴿ثُبَاتٍ﴾ لعرفت معناها من ذكر مقابلها، وهو قوله: ﴿أَوْ أَنْفِرُوا جَمِيعًا﴾ فيكون معنى ﴿ثُبَاتٍ﴾ أي: فرادى...^(٢)

الجهة الثانية :

بيان الكلمة بأن يذكر هو ما يقابلها أو يضادها... وهذا تكرر كثيراً، ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾ (الصفات: ٧٦)، قال - رحمه الله تعالى -: الكرب: ضد السعة، والإنسان المكروب هو الذي أصابه ما يكرب به، ولا شيء أعظم من كرب الموت...^(٣)

٢- عند تفسير قوله تعالى: ﴿رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ (الصفات: ١٠٠)، قال

(١) تفسير سورة النساء ١/ ٥١٥-٥١٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٣١٧.

(٢) تفسير سورة النساء ٢/ ٣٨٨-٣٨٩.

(٣) تفسير سورة الصفات ص ١٧٨.

~ : الصالح: هو الذي صلح ظاهره وباطنه، ولزم من صلاحه أن يكون قائماً بحقوق الله - تعالى - وحقوق عباده وهو ضد الفاسد، وفساد كل شيء بحسبه، وصلاح كل شيء بحسبه؛ فصلاح الإنسان أن يكون مستعداً لما أمر به قائماً بأمر الله في حقوقه وحقوق عباده.^(١)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ (النجم: ٣٠)، قال: وقوله: ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى﴾ ضد الضلال؛ فالناس بين فئتين: إما مهتد وإما ضال..^(٢)

(١) تفسير سورة الصفات ص ٢٢٣، وانظر: المفردات ص ٢٨٤.
(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٢٧، وانظر: المفردات ص ٢٩٧.

أعرف المعارف على الإطلاق، ومعناه: المعبود حياً وتعظيماً...^(١)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ (يس: ٣٤)، قال: ﴿ جَنَّاتٍ ﴾ جمع جنة وهي البستان الكثير الأشجار؛ سمي بذلك لأنه يُجْن مَنْ دخله وكان فيه لاستتاره، وأصل هذه المادة - الجيم والنون - تدور على هذا المعنى: أي على الاستتار والخفاء، ومنه سمي القلب جَنَاناً؛ لاستتاره، ومنه سمي الجَنَّة لاستتارهم وخفائهم، ومنه سمي الجَنَّة: الوقاية؛ لأن الإنسان يستتر بها؛ فكل المادة هذه تدل على الخفاء والاستتار...^(٢)

(١) تفسير سورة آل عمران: ١/٥٦، وانظر: عمدة الحفاظ ١/١١٧ - ١١٩، وتفسير ابن كثير ١/١٩٢ - ١٩٦.

(٢) تفسير سورة يس ص ١١٩، وانظر: معجم مقاييس اللغة ١/٢١٥ - ٢١٦ مادة «جن».

المبحث العاشر

بيان المعنى وتوضيحه بالأمثلة

وهذا من أهم الوسائل والأساليب في تقريب العلم وتوضيحه وترسيخه في أذهان المتعلمين، وقد سلك - رحمه الله تعالى - هذا المسلك في جميع دروسه ومنها التفسير، وقد بين - رحمه الله تعالى - أن هذا مما استفاده من شيخه ابن سعدي - رحمه الله تعالى - وأنه تأثر به في ذلك، حيث قال - رحمه الله تعالى -: «لقد تأثرت كثيراً بشيخي عبدالرحمن السعدي في طريقة التدريس وعرض العلم، وتقريبه للطلبة بالأمثلة والمعاني..»^(١)

ومن العلوم التي اعتنى فيها - رحمه الله تعالى - بهذا المنهج تفسير غريب القرآن، وإليك أمثلة على ذلك:

١- عند تفسير قوله تعالى: ﴿هُم وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرْيَافِ مُتَّكُونَ﴾ (يس: ٥٦)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿الْأَرْيَافِ﴾: جمع الأريكة وهي السرير في الحَجَلَة، أو الفراش فيها، ولكن الأكثر أنها السرير؛ والحَجَلَة: عبارة عن بيت صغير في وسط البيت الكبير، أي: أنها بمنزلة الحجرة الخاصة بالمنام فيما نعرفه بيننا؛ فالدار - مثلاً - تشمل حجراً كثيرة متعددة، والحجرة الخاصة بالنوم هي مثل الحَجَلَة: خيمة صغيرة تكون خاصة بالرجل وأهله، أو بالرجل وحده، أو بالمرأة وحدها.^(٢)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُونَ﴾ (يس: ٧٢)،

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٧٣، وانظر ما قاله عنه الدكتور عبدالله التركي في عرض أبرز ملامح منهج الشيخ - رحمه الله - وأن منها الاهتمام بالتطبيق والعناية بالأمثلة والتخريج. ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٦٩.

(٢) تفسير سورة يس ص ٢٠٠-٢٠١، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٩٤.

قال الله تعالى: ﴿وَدَلَّلْنَاهَا﴾ أي سخرناها وجعلناها ذليلة تنقاد لهم، ويتنفعون بها كما يشاءون؛ ولهذا نجد الصبي الصغير يقود هذا الجمل الكبير وقد ذلل له، ويقوده حيث شاء، بل إن الإنسان يقود البعير الكبير الجسم إلى مكان نحره وينقاد معه، ثم قسم الله - عز وجل - وجوه الانتفاع فقال: ﴿فَمِنْهَا رُكُوبُهُمْ﴾ الركوب: فعول بمعنى مركوب أي: فمنها ما يركبونه مثل الإبل ﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾ مثل الغنم، ومنها ما يجمع بين الأكل والركوب مثل الإبل...^(١)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَائِكَةٌ شَائِعٌ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (يس: ٨٣).

مما قال ~ : سبحان معناها: التنزيه، أي: أن الله منزه عن النقص في صفاته، وعن مماثلة المخلوقين.

فمثلاً: ينزه أن يكون وجهه كوجه المخلوق، وينزه أن يعتري صفاته نقص بأي وجه؛ فمثلاً: العلم، علم البشر ناقص ابتداءً، وانتهاءً، وشمولاً.

ابتداءً؛ لأنه مسبوق بالجهل، وانتهاءً؛ لأنه ملحق بالنسيان وشمولاً ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ (الإسراء: ٨٥)، لكن علم الله - عز وجل - كامل من هذه الوجوه كلها ابتداءً وانتهاءً وشمولاً...^(٢)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَلَا تَلْمِزُوا أَنْفُسَكُمْ﴾ (الحجرات: ١١)، قال - رحمه الله تعالى - : اللمز: العيب. بأن تقول: فلان بليد، فلان طويل، فلان قصير، فلان أسود، فلان أحمر، وما أشبه ذلك مما يعد عيباً.^(٣)

(١) تفسير سورة يس ص ٢٧١. وانظر: فتح القدير ٤/ ٥٤٣.

(٢) تفسير سورة يس ص ٣١٠-٣١١، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ١٨٩.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٤٠. وانظر: عمدة الحفاظ ٤/ ٤٦-٤٧، وفتح القدير ٢/ ٥٤٠.

المبحث الحادي عشر

إيراد معنى الكلمة ثم تقسيمها أو تنويعها

وهذا مما انتهجه الشيخ - رحمه الله تعالى - في دروسه ومؤلفاته؛ فهو يحرص على السبر والتقسيم، والتفصيل والتوضيح، وقد سار على هذا المنهج في بيان بعض الألفاظ، وتكرر منه هذا في تفسيره. وإليك بعض الأمثلة:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ (البقرة: ٣٣)، قال - رحمه الله تعالى -: أي ما غاب فيهما، وهو نوعان: نسبي، وعام؛ فأما النسبي: فهو ما غاب عن بعض الخلق دون بعض. وأما العام: فهو ما غاب عن الخلق عموماً.^(١)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ (النساء: ١٣)، قال - رحمه الله تعالى - وقوله: ﴿ حُدُودُ اللَّهِ ﴾ حدود: جمع حد. والحد: هو الشيء الفاصل بين شيئين، ومنه حدود الأرض يفصل بعضها عن بعض وحدود الله - عز وجل - تنقسم إلى قسمين: حدود واجبات، وحدود محرمات...^(٢).

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ اللَّهُ فَاهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ﴾ (الصافات: ٢٣)، قال - رحمه الله تعالى -: صراط بمعنى طريق.

والصراط نوعان: صراط حسي: وهو ما تمشي عليه الأقدام، وصراط معنوي: وهو ما تمشي عليه القلوب؛ فمن استقام في الصراط المعنوي على دين الله استقام في

(١) تفسير سورة البقرة ١/ ١٢٣.

(٢) تفسير سورة النساء ١/ ١٠٨، وانظر: عمدة الحفاظ ١/ ٤٣٩.

الصراط الحسي يوم القيامة حتى يصل إلى الجنة..^(١).

٤- عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ إِنَّا كَذَلِكْ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾ (الصفات: ٣٤)، قال - رحمه الله تعالى - وقوله: ﴿ بِالْمُجْرِمِينَ ﴾: المجرم هو الذي اكتسب الجرم وهو الإثم؛ فكل مجرم فإن الله تعالى يفعل به هكذا، ولكن الجرم نوعان: جرم لا عمل صالح معه؛ فهذا يفعل به هكذا قطعاً وليس أهلاً للعفو. وجرم معه عمل صالح؛ فهذا تحت المشيئة إن شاء الله عذبه، وإن شاء غفر له...^(٢)

(١) تفسير سورة الصفات ص ٥٨-٥٩.

(٢) تفسير سورة الصفات ص ٧٥.

المبحث الثاني عشر

بيان معنى الكلمة بمراعاة تصريفاتها اللغوية

وهذا مما يظهر جلياً في منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير ألفاظ القرآن الكريم، وهو مما يفيد ثراء في المعنى^(١) ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (يس: ٤)، قال - رحمه الله تعالى -: «الصراط: فعال بمعنى مفعول؛ لأن فعلاً تأتي بمعنى مفعول كثيراً؛ كقولهم: بناء، وغراس، وفراش بمعنى: مبني، مغروس، مفروش.

فصراط فعال بمعنى مفعول أي: مصروط، والصراط: المرور بسرعة ومنه قولهم: «صرط اللقمة» أي ابتلعها بسرعة، وفي اللهجة العامية عندنا نقول: «زرط» وهي لغة عربية في صراط. و«سراط» بالسین، و«زراط» بالزاي، فكلها لغة عربية^(٢) والصراط لا يكون صراطاً إلا إذا كان طريقاً واسعاً يتحمل طوائف يعبرون عليه. قالوا: أيضاً من صفاته أن يكون مستوياً ليس فيه طلوع ولا نزول.^(٣)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ﴾ (القمر: ١)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿أَقْرَبَتِ﴾ بمعنى قربت. لكن العلماء يقولون: إن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى. وهنا «أقربت» فيها زيادة المبنى على «قربت» والزيادة: الهمزة والتاء؛ فيدل على أن القرب قريب جداً، فمعنى اقتربت: أي قربت جداً و﴿السَّاعَةُ﴾ هي يوم القيامة.^(٤)

(١) انظر: البرهان في علوم القرآن ١/ ٢٩٨.

(٢) جاء في لسان العرب: «سَرَطُ الطَّعَامِ وَالثَّيْبُ - بِالْكَسْرِ - سَرَطًا، وَسَرَطَانًا: بَلَعَهُ، وَاسْتَرَطَهُ، وَازْدَرَدَهُ: ابْتَلَعَهُ...» ٦/ ٢٤٠ مادة: «سراط»، وانظر ٦/ ٣٦ مادة «زرط»، وانظر: عمدة الحفاظ ٢/ ٢١٩ - ٢٢٠، وفتح القدير ١/ ٣٦.

(٣) تفسير سورة يس ص ١٤.

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٦١

٣- عند تفسير قوله تعالى ﴿ إِنَّا مَرْسَلُوا النَّاقَةَ فَبَدَّلْنَا لَهَا صَفَرًا وَأَصْطَبَرْنَا ﴾ (القمر: ٢٧)، مما قال - رحمه الله تعالى -: ﴿ وَأَصْطَبَرْنَا ﴾ يعني: اصبر، وأصل «اصطبر» «اصتبر» بالتاء للمبالغة؛ لكن قلبت التاء طاء؛ لعلة تصريفية اقتضتها اللغة العربية، يعني أن الله قال لرسولهم صالح ﷺ ارتقب هؤلاء واصطبر فالنصر قريب. (١)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ اقْتِصَابًا لِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ (القمر: ٤٢)، مما قال - رحمه الله تعالى -: ﴿ مُقَدِّرٌ ﴾ أي: قادر، ولكنها أبلغ من كلمة «قادر» لما فيها من زيادة الحروف. (٢)

٥- عند تفسير - قوله تعالى -: ﴿ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ﴾ (البروج: ٨)، مما قال - رحمه الله تعالى -: وقوله: ﴿ الْحَمِيدِ ﴾ على وزن «فعليل» فيكون بمعنى «محمود» فالله - سبحانه وتعالى - محمود على كل حال... (٣)

٦- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۖ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴾ (القارعة: ٦ - ٧)، مما قال - رحمه الله تعالى -: العيشة: مأخوذة من العيش وهو الحياة؛ يقال: عاش الرجل زمناً طويلاً، أي: بقي وحيي زمناً طويلاً، والعيشة - هنا - على وزن «فعللة» فهي هيئة وليست مصدرًا؛ المصدر الدال على الوحدة أن تقول: «عَيْشَةٌ». وأما إذا قلت: «عَيْشَةٌ» فهي «فعللة» تدل على الهيئة... (٤)

﴿رَاضِيَةٍ﴾ قيل: إنها اسم فاعل بمعنى اسم المفعول أي: مرضية وقيل: إنها اسم فاعل من باب النسبة أي ذات رضى؛ وكلا المعنيين واحد، والمعنى أنها عيشة طيبة ليس فيها نكد، وليس فيها صخب، وليس فيها نصب، كاملة من كل وجه، وهذا يعنى العيش في الجنة - جعلنا الله منهم... (٤)

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٨٢، وانظر: تفسير القرطبي ١٧ / ١٤٠.

(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٨٩، وانظر: تفسير القرطبي ١٧ / ١٤٥.

(٣) تفسير جزء عم ص ١٢٧، وانظر: تفسير القرطبي ١٩ / ٢٩٤ - ٢٩٥.

(٤) تفسير جزء عم ص ٣٠٢، وانظر: تفسير القرطبي ٢٠ / ١٦٦ - ١٦٧.

المبحث الثالث عشر

بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء

من ملامح منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - بيان معنى الكلمة ونسبته إلى العلماء؛ وهذه النسبة إما أن تكون إلى عموم العلماء أو أكثرهم، أو إلى أهل التخصص كالمفسرين، أو الفقهاء، أو الأصوليين أو الفلكيين أو غيرهم، وقد يسمي صاحب القول، وهذا من توثيق العلم ونسبته إلى أهله، وإحالة القول إلى قائله، وإليك بيان ذلك:

أولاً: نسبة القول إلى عموم العلماء أو أكثرهم. ومن أمثله:

- ١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يَسْمَعُونَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ (البقرة: ٧٥)، مما قال - رحمه الله تعالى - قوله: ﴿ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ﴾ قال أهل العلم: تحريف الكلم ينقسم إلى قسمين: أحدهما تحريف اللفظ، والثاني: تحريف المعنى... (١)
- ٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿مَا يَأْتِيهِمْ مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ (يس: ٣٠)، قال - رحمه الله تعالى -: وقوله ﴿مِّن رَّسُولٍ﴾: الرسول - عند عامة أهل العلم - هو بشر أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه. (٢)
- ٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات: ٢٢)، مما قال - رحمه الله تعالى - ذهب كثير من أهل العلم أن المراد بالرزق هنا: المطر. (٣)

ثانياً: نسبة القول إلى أهل التخصص. ومن أمثله:

- ١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَقُلْ الْخَرَصُونَ﴾ (الذاريات: ١٠)، قال - الله تعالى -:

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة - البقرة ص ٣٠٣

(٢) تفسير سورة يس ص ١٠٧.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٣٠.

- ﴿قُلْ﴾ كثير من المفسرين يفسرها بلعن؛ واللعن: هو الطرد والإبعاد عن (١).
- ٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ﴾ (البقرة: ٢٥٥)، قال - رحمه الله تعالى -: العلم عند الأصوليين: إدراك الشيء إدراكاً جازماً مطابقاً. (٢)
- ٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ (النبا: ٧)، مما قال - رحمه الله تعالى -: أي جعلها الله - تعالى - أوتاداً للأرض بمنزلة الوتد للخيمة حيث يثبتها فتثبت به. وهذه الأوتاد قال علماء الأرض: إن هذه الجبال لها جذور راسخة في الأرض كما يرسخ جذر الوتد بالجدار، أو وتد الخيمة في الأرض. (٣)
- ٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَالسَّمَاءَ ذَاتِ الْبُرُوجِ﴾ (البروج: ١)، مما قال - رحمه الله تعالى - والبروج: جمع برج، وهو المجموعة العظيمة من النجوم؛ وسميت بروجاً لعلوها وارتفاعها وظهورها وبيانها، والبروج عند الفلكيين اثنا عشر برجاً. (٤)
- ثالثاً: نسبة القول إلى قائله تحديداً. ومن أمثلته:
- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿وَمَا لِي لَأَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي﴾ (يس: ٢٢)، مما قال - رحمه الله تعالى - عن العبادة: وعلى هذا حدها شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بأنها: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة. (٥)
- ومما يلحظ على هذا المنهج أن الشيخ - رحمه الله تعالى - في الغالب لا يسمي صاحب القول، وإنما ينسبه إلى العلماء أو إلى أهل التخصص بالنص عليهم جملة.

(١) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٢١، وانظر: تفسير القرطبي ٣٣/١٧، وفتح القدير ١١٨/٥-١١٩.

(٢) تفسير سورة البقرة ٣/٢٥٣. وانظر: شرح الأصول من علم الأصول ص ٨٩.

(٣) تفسير جزء عم ص ٢٢. وانظر: كتاب «من الإعجاز العلمي في القرآن الكريم» - مع آيات الله في السماء والأرض... ص ٥٠٣-٥٠٤.

(٤) تفسير جزء عم ص ١٢٤ وجاء فيه «اثني عشر...» وهذا خطأ والصواب ما أثبت؛ لأنها خبر للبروج. وانظر: تفسير الرازي ١١/١٠٦.

(٥) تفسير سورة: يس ص ٧٥. وانظر: مجموع الفتاوى ١٠/١٤٩.

المبحث الرابع عشر

تفسير الكلمة بالإحالة إلى ما هو معروف

إن من أبرز ملامح منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في بيان معاني بعض الألفاظ الإحالة إلى ما هو معروف، والمقصود به: ما هو معروف عند العرب، وبخاصة وقت نزول القرآن الكريم، وله صورتان:

الصورة الأولى: الإحالة إلى ما هو معروف والاكتفاء بذلك. ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا﴾ (البقرة: ٢٦)، مما قال - رحمه الله تعالى - : البعوضة: واحدة البعوض وهو معروف. (١)

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۖ (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۖ (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ۖ (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا ۖ (٣٠) وَفَكَهْهً وَأَبًّا﴾ (عبس: ٢٧ - ٣١)، قال - رحمه الله تعالى - : ﴿فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾ أي: في الأرض ﴿حَبًّا﴾ كالبر والرز والذرة والشعير وغير ذلك من الحبوب الكثيرة. ﴿وَعِنَبًا﴾ معروف ﴿وَقَضْبًا﴾ قيل: إنه القت المعروف الذي تأكله الدواب ﴿وَزَيْتُونًا﴾ معروف ﴿وَنَخْلًا﴾ معروف ﴿وَحَدَائِقَ غُلْبًا﴾ حدائق: جمع حديقة، والغلب: كثير الأشجار ﴿وَفَكَهْهً﴾ يعني ما يتفكه به الإنسان من أنواع الفواكه ﴿وَأَبًّا﴾ الأب: نبات معروف عند العرب ترعاه الإبل.. (٢)

الصورة الثانية: الإشارة إلى أنه معروف ثم يبين معناه. ومن أمثلته:

١- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿جَدَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ (النساء: ١٣)، قال - رحمه الله تعالى - : الجريان معروف: وهو سير الماء على الأرض. (٣)

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة - البقرة ص ١٣٥.

(٢) تفسير جزء عم ص ٦٧.

(٣) تفسير سورة النساء ١/ ١١٢.

٢- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ﴾ (الصفات: ٤٥)، قال: الكأس معروف، وهو الإناء بشرا به..^(١)

٣- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰ آلِهِمُ﴾ (الصفات: ٩١)، قال: أي: مال بخفية وانطلق بخفية، والروغان كما هو معروف: سرعة الإنسان لكن على وجه لا أحد يحس به.^(٢)

٤- عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿ءَأَنْتُمْ أَنْشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُدْشِعُونَ﴾ (الواقعة: ٧٢)، قال: والجواب: بل أنت يا ربنا. وشجرة النار: هي شجر معروف في الحجاز، وربما يكون معروفاً في غيره؛ يسمى المرخ والعفار، وهذا الشجر له خاصية إذا ضرب بالمر أو بشيء ينقدح مع المماساة اشتعل ناراً يوقد منه وهو معروف...^(٣)

ومما ينبغي التنبيه عليه أن مقصود الشيخ - رحمه الله تعالى - بالمعروف أي أنه معروف لدى المخاطبين وقت نزول القرآن الكريم وهو المعبر؛ ولذا رد ما قد يكون معروفاً عند المعاصرين، وليس معروفاً عند المتقدمين.

جاء ذلك عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ. ﴿٧﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.﴾ (الزلزلة: ٧ - ٨)، قال - رحمه الله تعالى -: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ يعني وزن ذرة والمراد: صغار النمل كما هو معروف. وليس المراد بالذرة: الذرة المتعارف عليها اليوم كما ادعاه بعضهم^(٤)؛ لأن هذه الذرة المتعارف عليها اليوم ليست معروفة في ذلك الوقت، والله - عز وجل - لا يخاطب الناس إلا بما يفهمون وإنما ذكر الذرة؛ لأنها مضرب المثل في القلة كما قال - تعالى -: ﴿إِنَّ

(١) تفسير سورة الصفات ص ٩٩.

(٢) تفسير سورة الصفات ص ٢٠٠.

(٣) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٤٤-٣٤٥.

(٤) انظر: موسوعة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم - القرآن والكون - ص ٣٩٩.

اللَّهُ لَا يَظَلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يُضْعِفْهَا .. ﴿ (النساء: ٤٠) ﴾، ومن المعلوم أن من عمل ولو أدنى من الذرة فإنه سوف يجده، لكن لما كانت الذرة مضرب المثل في القلة قال الله - تعالى -: ﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴾ ﴿ (الزلزلة: ٧) ﴾^(١).

وما أورده الشيخ - رحمه الله تعالى - هو الموافق لقاعدة من قواعد الترجيح عند المفسرين وهي: (أنه يجب حمل كلام الله - تعالى - على المعروف من كلام العرب دون الشاذ والضعيف والمنكر)^(٢) ودون ما لم تستعمله العرب ألبتة ولم يرد في لسانها وقت نزول القرآن، كالأصطلاحات والمعاني الحادثة المستجدة والتي حدثت بعد عصر التنزيل...^(٣)

(١) تفسير جزء عم ص ٢٩١.

(٢) مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٤٣-١٤٤.

(٣) انظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٤٤.

المبحث الخامس عشر

الاعتماد في بيان المعنى على بعض القواعد

إن مما يعتني به الشيخ - رحمه الله تعالى - التأصيل العلمي، والاهتمام بالقواعد، والتأكيد على الضوابط في مختلف دروسه ومؤلفاته، ومنها التفسير؛ ولذا يبرز في منهجه في تفسير ألفاظ القرآن الكريم العناية بالقواعد التأصيلية^(١)، ومن هذه القواعد:

القاعدة الأولى:

الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل على خلاف ذلك^(٢).

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله - تعالى -: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ﴾ (البقرة: ٣٥)، حيث قال - رحمه الله تعالى -: وزوجه: هي حواء التي خلقها الله - تعالى - من ضلع آدم، فهي من أب بلا أم، والمراد بالجنة: إما جنة الخلد التي هي مأوى المتقين، وإما جنة في الدنيا: بستان ذو أشجار كثيرة، للعلماء في هذا قولان...

والأقرب - والله أعلم - أنها جنة المأوى، جنة الخلد التي وعد المتقون؛ لأنها هي المعلومة عند الإطلاق، والأصل أنه إذا كان للفظ معنى ومفهوم عند الإطلاق؛ فإنه يحمل عليه إلا بدليل على خلاف ذلك، وهذه القاعدة مفيدة في علم التفسير وغيره، أن الأصل في النصوص حملها على ما هو معلوم ومفهوم حتى يقوم دليل

(١) انظر: ابن عثيمين الإمام الزاهد ص ٦١.

(٢) انظر: أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة، البقرة ص ١٦٨، وانظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين

على خلاف ذلك..^(١)

القاعدة الثانية :

النكرة في سياق الشرط تفيد العموم.^(٢) ومن أمثلة هذه القاعدة:

- عند تفسير قوله - تعالى - : ﴿ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ﴾ (الصفات: ١٤)، قال - رحمه الله تعالى - : المراد بالآية: أي آية؛ لأنها جاءت نكرة في سياق الشرط، والنكرة في سياق الشرط تفيد العموم.^(٣)

القاعدة الثالثة :

إذا فسرنا النص القرآني أو النبوي بمعنى أخص، وفسرناه بمعنى أعم، فنأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يدخل فيه الأخص..^(٤)

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾ (الذاريات: ٢٢)، قال - رحمه الله تعالى - : الرزق: هو المطر كما في الآية الكريمة: ﴿ وَيُنَزِّلْ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا ﴾ (غافر: ١٣)، ويمكن أن نقول: إن الرزق الذي في السماء أعم من ذلك؛ فقد يقال: إن في السماء رزقاً من المطر، وما كتب الله لنا في اللوح المحفوظ من المصالح والمنافع الجسدية من أموال وبنين وغير ذلك؛ فيكون هذا القول أشمل وأعم، واعلم أنه ينبغي أن يراعي المستدل بالقرآن والسنة قاعدة مفيدة وهي: إذا فسرنا النص القرآني أو النبوي بمعنى أخص، وفسرناه بمعنى أعم، فنأخذ بالأعم؛ لأن الأعم يدخل فيه الأخص ولا عكس إلا إذا دل دليل على أنه خاص، فهذا يتبع فيه الدليل؛ لكن عندما لا يدل الدليل فخذ بالأعم لأن الأعم

(١) أحكام من القرآن الكريم: الفاتحة - البقرة ص ١٦٨.

(٢) انظر: تفسير سورة الصفات ص ٤١، وانظر: قواعد التفسير ٢/ ٥٦٠.

(٣) انظر: تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٣١. وانظر: مختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ٢٠٠.

(٤) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ١٣١-١٣٢.

يدخل فيه الأخص ولا عكس، فهنا إذا قلنا: المراد بالرزق ما هو أعم من المطر؛ فالجواب صحيح، فيدخل فيه المطر وغيره...^(١)

ومن أمثلة هذه القاعدة ما أورده عند تفسير كلمة (دسر) من الآية رقم ١٣ من سورة القمر^(٢)، وعند تفسير لفظتي (فروح وريحان) من الآية رقم ٨٩ من سورة الواقعة.^(٣)

القاعدة الرابعة:

إذا كانت الآية تحمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر ولا يتضادان فإنها تحمل عليهما جميعاً.^(٤)

جاء هذا عند تفسير قوله - تعالى -: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا﴾ (البروج: ١٠)، قال - رحمه الله تعالى -: قال العلماء: ﴿فَتَنُوا﴾ بمعنى: أحرقوا، كما قال - تعالى - ﴿يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ﴾^(٥) ذُقُوا فَنَتَكُمُ هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ﴾ (الذاريات: ١٣ - ١٤)، فهو لاء أحرقوا المؤمنين، وأحرقوا المؤمنات في النار، وقيل: فتنوهم: أي صدوهم عن دينهم.

والصحيح: أن الآية شاملة للمعنيين جميعاً؛ لأنه ينبغي أن نعلم أن القرآن الكريم معانيه أوسع من أفهامنا، وأنه مهما بلغنا من الذكاء والفتنة فلن نحيط به علماً، والقاعدة في علم التفسير أنه إذا كانت الآية تحمل معنيين لا مرجح لأحدهما على الآخر ولا يتضادان فإنها تحمل عليهما جميعاً؛ فنقول: هم فتنوا المؤمنين بصددهم عن سبيل الله، وفتنوهم بالإحراق أيضاً.^(٥)

(١) انظر: تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٢٧١.

(٢) تفسير سورة الحجرات إلى الحديد ص ٣٥٣.

(٣) انظر تفسير جزء عم ص ١٣٠. وانظر: أصول في التفسير ص ٤٤.

(٤) تفسير جزء عم ص ١٣٠.

(٥) انظر: تفسير جزء عم ص ٣١٨-٣١٩. ومختصر قواعد الترجيح عند المفسرين ص ١٨٥.

القاعدة الخامسة :

إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد أو لكل كلمة معنى؛ فإننا نجعل لكل واحدة معنى، وبصير هذا تأسيساً وتفريقاً بين الكلمتين. (١)

وجاءت هذه القاعدة عند تفسيره لقوله - تعالى - : ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ (الهمزة: ١)، مما قال - رحمه الله تعالى - : والهمزة اللزمة: وصفان لموصوف واحد، فهل هما بمعنى واحد؟ أو يختلفان في المعنى؟

قال بعض العلماء: إنها لفظان لمعنى واحد، يعني: أن الهمزة هو اللزمة.

وقال بعضهم: بل لكل واحد منهما معنى غير المعنى الآخر.

وتم قاعدة أحب أن أنبه عليها في التفسير وغير التفسير وهي:

أنه إذا دار الأمر بين أن تكون الكلمة مع الأخرى بمعنى واحد أو لكل كلمة معنى، فإننا نجعل لكل واحدة معنى؛ لأننا إذا جعلنا الكلمتين بمعنى واحد صار في هذا تكرار لا داعي له، لكن إذا جعلنا كل واحدة لها معنى صار هذا تأسيساً وتفريقاً بين الكلمتين، والصحيح في هذه الآية ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ ، أن بينهما فرقاً، فالهمز بالفعل، واللمز باللسان. (٢)

(١) سورة الهمزة: الآية ١.

(٢) تفسير جزء عم ص ٣١٨-٣١٩، وانظر: فتح القدير ٧٠١/٥.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الممتعة التي عشنا فيها في رحاب منهج هذا العالم الجليل والمفسر الكبير، الإمام العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله تعالى - يجدر بنا إيراد بعض النتائج التي تم التوصل إليها من خلال هذا البحث في منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في تفسير غريب القرآن، وهي تشمل أهم النتائج والتوصيات:

أولاً: أهم النتائج

- ١- أن الشيخ - رحمه الله تعالى - سلفي في عقيدته ومنهجه؛ فهو يسير على منهج السلف الصالح في التأصيل والتوثيق والاعتماد على الدليل من الكتاب والسنة، مع اعتبار أقوال علماء الأمة الموثوقين.
- ٢- أن الشيخ - رحمه الله تعالى - من العلماء الموسوعيين الذين جمعوا شتى الفنون برسوخ وإتقان وتمكن؛ فهو مفسر، وفقه، ومحدث، ولغوي، وأصولي... إلخ.
- ٣- عناية الشيخ - رحمه الله تعالى - بتفسير غريب القرآن الكريم، وهو أهم ما يجب أن يبدأ به المفسر.
- ٤- تطبيقه أفضل طرق التفسير والتي تقوم على الاعتماد على القرآن الكريم أولاً، ثم السنة.. إلخ.
- ٥- عنايته بالتفسير اللغوي للألفاظ بشتى أنواعه من نحو، و صرف، وبلاغة، وشعر،... إلخ.
- ٦- عنايته بالتأصيل والاعتماد على القواعد في التفسير عامة، وفي تفسير الغريب خاصة.

٧- الاهتمام بتوثيق العلم ونسبته إلى أهله.

٨- عنايته - رحمه الله تعالى - بتقريب العلم، وتوضيحه، وترسيخه في أذهان الطلاب بالأساليب المساعدة على ذلك من تطبيق، وضرب أمثلة، ونحو ذلك.

ثانياً: أهم التوصيات:

توصياتي في هذا البحث تكمن في أمرين:

- الأول: الاهتمام بهذا النوع من التفسير، والاستفادة من منهج الشيخ - رحمه الله تعالى - في عنايته به وتركيزه عليه في تفسيره.

- الثاني: جمع تفسير ألفاظ القرآن - للشيخ - في كتاب مستقل تحت عنوان «تفسير غريب القرآن» أو نحو ذلك؛ ففيه فوائد جمّة بإذن الله تعالى .

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر للشيخ ابن عثيمين، وأن يجزيه خير الجزاء عن كل ما قدمه من خدمات جليّة للإسلام والمسلمين، وأسأله - سبحانه - أن يسبغ عليه رحمته، وأن يسكنه الفردوس الأعلى من جنته، إنه سميع قريب مجيب.

كما أسأله - سبحانه - أن يغفر للمسلمين والمسلمات، والمؤمنين والمؤمنات الأحياء منهم والأموات وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

والحمد لله رب العالمين..